خطاب الاعتراض: «إرحل» أنموذجاً

نادر سراج
الجامعة اللبنانية
sragenader@gmail.com

الملخص

«**ارحل**» هي إشارة لغوية Signe linguistique، ورسالة مكتفية بذاتها، سريعة الإبلاغ، بيّنة المعنى، ائتلف معناها وشكلها داخل حقل دلالي سياسي. بلاغة الرسائل السياسية الشعبية التي أزهرت قطوفها في خطاب الساحات العفوي والمباشر، تركت أثرها في صفوف مردّدي ''**ارحل**» ومدوّنيها ومتناقليها على مواقع التواصل الاجتماعي، مثلما في التحليلات السياسية أو التعليقات الساخرة المصاحبة للرسوم الكاريكاتورية ناهيك عن النكات والنوادر والتشنيعات. هذا الضرب من البلاغة الشعبية، بلاغة الميادين والساحات، تمثّل في أبسط صوره في كلمة جميلة وآسرة، انتقلت من حيّز التمنيّ والطلب إلى مستوى الفعل التغّييري، فقلبت أنظمةً، وبدّلت في موازين القوى في المنطقة. انطلاقاً من أن التمتّع بروح النكتة وبأسلوب النقد الساخر يعتبران عاملين مفيدين لمواكبة عمليات الانزياح écart التي تلحق عادةً بهذا الشعار، وفي ظروف سياسية متقلّبة، فسنبيّن في مساهمتنا دينامية المدونة اللغوية التي أمدتنا بسيل من البدائل التعبيرية الطريفة، وأضفى من خلالها «روح الشارع المصري» على تعبير سياسي محض. ستضمن الدراية امثلة حيّة تعكس القدرات المتناهية للجمهور المصري على توظيف السخرية بوصفها صورة بلاغية للتعبير عن معانٍ متضادة وذلك باللجوء الى أساليب تقليل أو تسفيه أو «شورعة» الأقوال المنسولة من الفكرة المتمحورة حول الرحيل أو الإبعاد أو التسفير. إن اقتطاف bricolage الجمهور المصري أو استملاكه مواد متوفّرة لبلورة ملامح بلاغته الشعبية ساعدته على تقليب معاني الرحيل، وذلك بربطها مع منتجات تعود لعوالم غير سياسية (أغان، نكات، تعابير شعبية...) متبنّياً بذلك إشارات لغوية من نصوص وعوالم أخرى متباينة، وموظفها في نصّ الترحيل. فالإيجاز في استخدامها، أو الإطناب، أو الإضافة إليها، ضاعف من تأثيرها لدى المتلقي الذي لم يفته بالطبع فكّ شيفرتها. لكنه استساغ ورودها في سياقات غير سياسية، طريفة ومأنوسة، لايصال رسالة مباشرة إلى «من يهمّه الأمر».

الكلمات المفاتيح: الشعار السياسي؛ الهتاف؛ خطاب الاعتراض؛ القراءة اللسانية؛ رسالة السيميائية؛ بلاغة الساحات؛ التضمين؛ التناص؛ الشباب العربي؛ الثورات العربية.

Abstract

Discourse of Objection: "Dégage» as a prototype

Nader Sraj

This paper tackles the phenomenon of the clause equivalent, a one–word statement that functions as a word and formulates a highly significant, semantically condensed verbal clause. This paper studies the imperative clause equivalent "Irhal" – leave. It reflects in its single unit and tenor the state of the rebellious youth calling for change. The addressee is in effect the oppressive ruler whom the Arab revolutionary activists have demanded to depart immediately from power and the country along with his party and family. In this study we tried to locate the linguistic formula of ousting within the sarcastic protest discourse. We examined the different signifiers used to epitomize this idea. Adapting this concept to one of the possible realms of both the speaker and the recipient, and knowing the possible contexts for its use, is in fact similar to the processes of understanding, assimilating, and the ability to relate. This is what we noticed in the numerous expressions derived from this initial expression. The Arab youth excelled in reducing the signification of this clause equivalent to a political act for change, transposing this expressive type from the authoritarian lexicon to the de facto lexicon. The linguistic and cultural contexts for the use of "Irhal" and its colloquial equivalents show that the originator of this verb, the conditions of its creation, the identities of its recipients and those to whom the demand to leave was addressed differed from country to country. This diversification followed the evolutionary stages of the pronunciation of that these messages went through.

Keywords: Arab revolutions; Arab youth; protest discourse; clause equivalent; Egyptian people; bricolage; linguistics.

المقدمة

ثمّة ظاهرة شهدتها ساحات بلدان «الربيع العربي»، وتمثّلت بفعل الأمر «ارحل» بوصفه قولاً أحادي الكلمة يقوم مقام الجملة وظيفياً. هذا القول أدّى دوره بجدارة في صوغ جملة فعلية مكثّفة المعاني وبالغة الدلالة، عكست في شكلها الأحادي وفي مضمونها لسان حال الشباب المنتفض والمنادي بالتغيير، والذي اعتمد صيغة الأمر المختصرة – شكلاً ومضموناً – للتأكيد على إدراكه لأولوياته التغييرية السياسية. وبطبيعة الحال فالمرسَل إليه المقصود بالكلام (صيغة الرحيل) هو الحاكم الجائر والظالم والفاسد الذي طالب ناشطو الثورات العربية برحيله الفوري عن الحكم، وعن البلاد، هو وأعوانه وأركان نظامه وحزبه وأفراد عائلته.

تعريف

ندرس في هذه المقالة ظاهرة فعل الأمر «ارحل». ونعرّف أكثر مفهومنا لهذه الصيغة الآمرة بالرحيل. فهي كلمة من حيث الشكل، ولكنها تشتمل على مسند ومسند إليه، وتحمل معنىً تاماً. وانطلاقاً من أن النسق الكتابي يقول بأن كل ما هو بين بياضين فهو يُعَدُّ كلمة. لذا، فهي في العدّ كلمة واحدة، وهي في التراث النحوي على الإجمال كلمتان (فعل وفاعل مضمر). ولكنها متى جاءت في بدء الجملة، أو على رأسها، فهي تشتمل على ما نسمّيه متمّمات، مثل «ارحل وكفاية ظلم[1]، حسبنا الله ونعم الوكيل»، و«ارحل يا ظالم»[2].

المثال المعروف والأكثر شهرةً هو ذاك الذي أُطلق بالفرنسية في تونس: dégage[3]،

(1) Mia Gronalahl, Ayman Mohyeldin, **Tahrir Square,** Cairo, The American University in Cairo Press, first edition, 2011, p.62.

(2) Karima Khalil, **Message from Tahrir,** Cairo, The American University in Cairo Press, Cairo–New York, first edition, 2011, p.53.

(3) استعيد هذا الشعار الفرنسي في كاريكاتور سياسي، منشور في صحيفة **Libération** (2010/ 12/ 9)، بعنوان «بوتين والربيع الروسي» وعلى لسان الرئيس الروسي بوتين الذي يخاطب معارضيه بالقول: Dégage.

وما لبث أن استعاد لبوسه العربي ونبضه الجماهيري في ساحة التحرير بالقاهرة، وهو «ارحل»، وما نشأ عنه من نظائر أو أخوات بالعربية، الفصيحة أو بمحكياتها، وبالإنكليزية Go out. وسرعان ما صدحت به حناجر المتظاهرين في أكثر من مدينة عربية من طرابلس الغرب وبنغازي إلى صنعاء مروراً بدمشق وحلب... وصولاً إلى المنامة.

القول الأحادي «ارحل» الذي ندرسه كنموذج للشعار الاعتراضي الملفوظ، فاز، بترجمته الفرنسية «ديغاج»، بلقب «كلمة عام 2011» في مهرجان فرنسي لعشاق اللغة، لأن لجنة التحكيم وجدت فيه «تعبيراً بليغاً يلخّص الثورات[4]، فهذه الكلمة البليغة الموجزة هزّت كراسي الحكم في أكثر من دولة عربية» خلال الأشهر الماضية». ووفق مبدأ «عولمة الغضب»، انتقلت عدواه التعبيرية حتى إلى إسرائيل، حيث حمل الطلاب الجامعيون يافطات باللغتين العبرية والعربية وحملت شعار «ارحل[5]»، كما حملوا يافطات ساخرة جاء فيها «بعد مبارك والأسد، فليسقط نتنياهو». ووصل الشعار لاحقاً إلى مواقع التواصل الاجتماعي، حيث لم تسلم لندن من التعليقات على «انتفاضة لندن»: ارحل (دفيد كاميرون) يعني GO بتفهم وللا NO[6]! وفي السياق نفسه، يبدو أن مفاعيل الربيع العربي تمدّدت، فصار الكلام عن «الربيع الأميركي» حيث ساحات التحرير في المدن الأميركية، والقمع يغذّيها[7]، وعن «الربيع الروسي». وحتى الرئيس الإيراني أحمدي نجاد، لم يسلم من مفاعيل هذه الصيغة ونظائرها. فقد رفعت لافتة في مدينة ريو دي جانيرو اعتبرته غير مرغوب فيه، وطالبته بالعودة إلى دياره: AHMADI NEJAD GO HOME.[8]

واستتباعاً لتداعيات فعل الأمر هذا المحفّز والدّاعي إلى الرحيل، ثمّة كاريكاتور مصري طريف (أخبار اليوم 2011/ 5/ 16) يظهر الرؤساء الأسد والقذافي وصالح منهمكين في القراءة مع تعليق: «بيدوّروا في القواميس على معنى كلمة

(4) خبر بعنوان «مهرجان فرنسي لعشاق اللغة»، صحيفة **الشرق الأوسط**، 2011/ 6/ 3.

(5) صورة لمتظاهرين يحملون هذا الشعار منشورة في كل من صحيفة الشرق الأوسط، 2011/ 8/ 11، ومجلة **الوطن العربي**، 2011/ 8/ 24.

(6) تحقيق بعنوان «انتفاضة لندن» منشور في صحيفة **السفير**، 2011/ 8/ 12.

(7) خبر بعنوان «تحرّكات الشارع الأميركي» منشور في صحيفة **الأخبار**، 2011/ 10/ 8.

(8) تحقيق عن زيارة الرئيس الإيراني إلى البرازيل، منشور في صحيفة 22/6/2012 ,**The Daily Star**.

ارحـل»[9]. كمـا تـمّ إطلاق هـذا الفعـل «ارحل» اسـماً لمسـرحية كوميديـة عرضت فـي عمّـان خـلال شـهر آب 2012، وعالجـت الفـراق بين ثـورات العسـكر ومآخذ المثقفين[10]. كما باتت الصيغة الفرنسـية Dégage عنواناً لكتاب عن شـعارات الثورة التونسية صدر بالفرنسية عن منشورات ALIF 2012.

أ- مفهوم الرحيل في قراءة لسانية أوّلية

القـراءة اللسـانية لهـذا النمـوذج الرائـج لخطـاب الاعتـراض الشـعبي تفيدنـا أن «ارحـل» هـي علامـة لغويـة Signe linguistique، ورسـالة مكتفيـة بذاتهـا، بليغة المضمون، مكثّفة الشـكل، سـريعة الإبلاغ، بيّنة المعنى دالاً ومدلولاً. ائتلف معناها وشـكلها داخل حقل دلالي سياسـي لم تخفُ دلالته على الشارع المنتفض في أكثر من بلد، وبشكل غير مسبوق في العالم العربي.

شقّت هذه الصيغة الآمرة والسهلة التلفّظ والسحرية الوقع والبالغة المفعول، طريقها بسـرعة قياسية في بلاغة السـاحات، واخترقت أدبيات السياسـة العربية بلا استئذان. ذاعَ صيتُها في بلدان «الربيع العربي» التي أينعت في بيئاتها المنتفضة، وفي سواها من البلدان الشقيقة المؤيّدة والمتعاطفة، أو الصديقة المتضامنة، وحتى العدوّة منها.

هـي باختصـار صيغـة فعـل الأمر «ارحـل» التي لـم تنبت مـن فـراغ، إذ قطفها الجمهور من حديقته التعبيرية الغنّاء، واسـتحضرها من حصيلته اللغوية الكلاسيكية. تفنّـن الجمهـور المنتفـض فـي طرائـق اسـتخدامها إذ حملهـا فـي لافتـات[11]، ولهجـت بها شـفاهه في أكثر من مناسـبة، ولحّنها فـي أهازيج شـعبية، وغنّاها على إيقاعـات الـراب[12]، ومَسْـرَحَها في أكثر من شـكل إبداعي، وتفنّن في رسـمها على

(9) تعليـق بعنـوان «الإعلام المصري يعكس رأي الشـارع في تأييده ثـورات العرب»، وتضمّن رسـماً كاريكاتورياً (فكرة أحمد رجب، ريشة مصطفى حسين)، منشور في صحيفة **أخبار اليوم**، 2011/ 5/ 16.

(10) تحقيق لـ جمال عيّاد بعنوان «ارحل... كوميديا الفراق بين ثورات العسكر ومآخذ المثقفين»، منشور في صفحة «منوعاتَ»، صحيفة **الحياة**، 2011/ 8/ 13.

(11) **Messages from Tahrir,** p. 83.

(12) أغنيـة «ارحـل»، أداء وتلحيـن الفنان الشـاب رامي عصـام المعروف بـ «مغنّـي الثورة»، هي عبـارة عن كلمات مركّبة من هتافات المتظاهرين. انظر كتاب من إعداد مجموعة مؤلفين، بعنوان **الأنماط غير التقليدية للمشاركة السياسـية للشـباب في مصر** (أعمال ندوة)، القاهرة، منتدى البدائل العربي للدراسـات، نشـر وتوزيع «روافد»، 2012، ص 261.

مركبات[13] وعلى جداريات المدن[14]. وفي المحصّلة رفعها «بطاقة حمراء»[15] في وجوه حكامه الجائرين هم وأعوانهم وحاشيتهم وأقاربهم وأحزابهم وكل المنتفعين الذين لطالما اضطهدوه، واغتصبوا حقوقه، وعاثوا في الأرض فساداً.

بلاغة الرسائل السياسية الشعبية ذات الطبيعة الاعتراضية مثل «ارحل» و«كفاية»[16] اللتين عرفهما الجمهور المصري منذ عام 2004، والتي أزهرت قطوفها في خطاب الساحات العفوي والمباشر، تركت أثرها البالغ في صفوف الشباب المنتفض الذي حمل لواء هذه الصيغة الاعتراضية المكثّفة، «ارحل». فتناقلها هو ومدوّنيها ومتلقّيها على مواقع التواصل الاجتماعي وعلى الشبكة العنكبوتية، مثلما في التحليلات السياسية أو التعليقات الساخرة المصاحبة للرسوم الكاريكاتورية ناهيك بالنكات[17] والنوادر والتشنيعات.

الوجوه المتعدّدة التي ارتدتها هذه الكلمة التي ذاع صيتها – عربياً ودولياً – خلقت أجواءً شعورية إيجابية في ذوات المتلقيّن بعدما دخلت عوالمهم التعبيرية، وأيقظت الكوامنَ في دواخلهم، وحرّكت مطالبَ محقّة ومزمنة لطالما أعاقَ تحقيقَها من يطالبون برحيلهم بعيداً عن البلاد والعباد. وقعت هذه الصيغة الآمرة بالرحيل موقعاً حسناً في نفوس المتظاهرين، وشكلت سلاحاً اعتراضياً شهروه لإعلاء أصواتهم ولرفع الضيم والقهر والظلم التي عانوا منها، لدرجة أنهم لم يجرؤوا على المجاهرة بمخاطبة الرؤساء ومساءلتهم، فكيف بالمطالبة برحيلهم وإسقاط أنظمتهم والمناداة العلنية بأسمائهم الصريحة هم ومعاونيهم[18] وأقربائهم المباشرين.

---

(13) رسم الشعار على عربة عسكرية وعلى مدرّعة وعلى صهريج. انظر كتاب مليحة مسلماني، **غرافيتي الثورة المصرية**، بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، 2013، ص 45.

(14) ثمّة صورة التقطتها سارة كار لجدار في شارع ماريت باشا (وسط القاهرة)، منشورة في كتاب **الجدران تهتف، جرافيتي الثورة المصرية**، القاهرة، زيتونة، ط1، 2012، ص 50.

(15) شعار مشابه يدعو لرحيل مبارك «مبارك برّه» كتب على كرتونة حمراء، رفعه متظاهر يرتدي ملابس حكم رياضي ويحمل صافرة ويضع على صدره شعار «الشعب هو الحكم». انظر: **Message from Tahrir,**p.132.

(16) «كفاية إهانة» شعار رفعه متظاهر في ميدان التحرير، وأدرج في كتاب **Messages from Tahrir**, p. 89.

(17) يورد عبد الحليم طه في كتابه **زلزال 25 يناير وتوابعه**، صورة X كاريكاتير، القاهرة، لا دار نشر، ط.2011.6، ص.20 صورة مركّبة لمظاهرة تنادي برحيل مبارك الذي يردّ: «غيّرت الوزارة... عيّنت نائب».

(18) ثمّة رسمان لمبارك (بورتريه) مع عبارتي «ارحل» و«غور» في وسط البلدة وثمّة شعاران مدوّنان يدعوان إلى رحيل عمر سليمان («مكيافلي مبارك» و«عميل»)، مدرجان في المرجع السابق، ص 24، 45، 48، 49.

هـذا الضـربُ مـن البلاغـة الشـعبية، بلاغـةِ الميادين والسـاحات الـذي واجه بجـرأة ملحوظـة بلاغة الخطاب السـلطوي، تمثّل في أبسـط صوره فـي صيغة فعلية آمرة وآسـرة، مبنىً ومعنى، انتقلت من حيّز التمنيّ والطلب والمناشـدة إلى مسـتوى الفعل التغييري. فأسـهمت ومثيلاتها في قلب أنظمـةٍ، والإطاحة بحكّامٍ، ووأدِ مقولة التوريث السياسي، وبدّلت في موازين القوى في المنطقة. مفتاح الثورات العربية في الألفية الثالثة هذا لم يحتجْ إلى «مانفيستو» مؤدلج، ولا إلى «البلاغ رقم واحد»، كما لم يسـتعنْ بمنبريات المذيع أحمد سعيد ولا بعنتريات وزير الإعلام العراقي السابق محمد سعيد الصحّاف.

هي وسـيلةُ تعبيرٍ متكاملة ومركّزة اختُلف – كالعادة – في أبوّتها[19] وفي تاريخ ولادتهـا. فالكويتيـون[20] يعيدونهـا إلـى عـام 2009 الـذي طالبوا فيـه برحيل رئيس الـوزراء. واللبنانيـون يتذكرّون جيداً أنهم الأوائل في رفع شـعار «فلّ»، أي «ارحل»، فـي وجه الرئيس السـابق إميـل لحود في عـام 2005، وأعادوا رفعه أخيـراً في وجه السفير السوري في لبنان: السفير السوري فِلّ عالبيت[21].

ولكن التونسـيين الذين رفعوا المقابل الفرنسـي لـه Dégage[22] في عام 2010، والمصريـون الذين اسـتلّوه من رحم لغتهم الأم ابتداءً من عام 2004، هم السـبّاقون على ما نظنّ. لأن هذا التعبير السياسي وأمثاله تحوّل على أيديهم – وفي حناجرهم – أفعالاً سياسـية وتغييرية بالفعل لا بالقـوة. وعلى أي حال، فهي ونظائرها نتاج بلاغة شـعبية أفادت في الحقيقة من البلاغة اللسـانية في مختلـف توجّهاتها وآلياتِ عملها ورمزيةِ دلالاتها. لهذا، خصّصنا لها حيّزاً في دراستنا اللسانية عن منظومة الشعارات السياسـية بين العامين 2011 – 2012، وقارنّا بين مختلف اسـتخداماتها في أكثر من

(19) مفهـوم «أبـوّة الشـعار» اعتمد هنا نسـجاً علـى منوال نظـام الأبـوّة، النظام الاجتماعـي الذي تخضـع بمقتضاه مجموعة من الأسـر المشـتركة في الدمّ لسـلطة حاكم هو أكبر الذكور فيها. معلومة مستقاة من **المنجد في اللغة العربية المعاصرة**، بيروت، دار المشرق، ط2، 2001، ص 4.

(20) صحيفة **الكويتية**، 2012/ 8/ 27.

(21) انظـر تحقيق عن تظاهرات معادية للنظام السـوري نظّمت في بيـروت، وتضمّنت لافتة رفعها تجمّع للمعارضة في ساحة رياض الصلح. صحيفة **النهار**، 2012/ 10/ 29.

(22) رفع الشـعار الفرنسي نفسـه في وجه رئيس الحكومة اللبنانية نجيب ميقاتي Mikati Dégage بعد تشييع اللواء الشهيد وسام الحسن. الصحف اللبنانية، 2012/ 10/ 22.

قطر عربي حصد أو يكاد قطوفها الدانية[23].

وانطلاقاً من أن التمتّع بروح النكتة وبأسلوب النقد الساخر يعتبران عاملين مفيدين لمواكبة عمليات الانزياح écart التي تلحق عادةً بهذا الشعار وأمثاله من قبل متلقّيه ومتداوليه، وفي ظروف إعادة إنتاجٍ ساخنة أو متقلّبة، فقد أظهرت مدونتنا اللغوية سيلاً من البدائل التعبيرية الطريفة التي استولدها الجمهور من عوالمه الحياتية ومن لدن تعابيره اليومية، وأضفى على تعبير سياسي محض «روح الشارع المصري»، المعروف بالحسّ النقدي الممزوج بخفّة الدمّ.

وقد استشهدنا في هذه المقالة بأمثلة حيّة عكست القدرات المتناهية للجمهور على توظيف السخرية بوصفها صورة بلاغية للتعبير عن معانٍ متضادة، وذلك باللجوء إلى أساليب تقليل أو تسفيه أو تضخيم أو «شَوْرَعَة» الأقوال المتناسلة، على ظرفٍ وذكاءٍ، من الفكرة المتمحورة حول الرحيل أو الإبعاد أو التسفير.

إن اقتطافَ bricolage[24] الجمهور أو استملاكَه موادَ متوفّرةً لبلورة ملامح بلاغته الشعبية بغية تقليب معاني الرحيل، أو الصيغ القولية المعبّرة عنه، أو الداعية والمشجّعة على حصوله، أكدت قدرته الذكية على ربطها مع منتجاتٍ غير سياسية (أغان، نكات، تعابير شعبية، مسكوكات لغوية...)، متبنّياً بذلك إشاراتٍ لغويةً من نصوصٍ متباينة وعوالَم أخرى، ومؤقلمها، وموظّفاً إياها في نصّ الترحيل. وللتمثل على ذلك، نشير إلى ضروب الاقتطاف والتناص الحاصلة من نصوص تعود لعوالم أخرى، مثل عالم «كليلة ودمنة» أو عالم الحيوان (البقرة الضاحكة، الحمار)، وعالم السفر (الطيران، الفيزا)، وعالم الرياضة (الزمالك، التحكيم، الاتحاد السكندري)، وعالم الملبوسات (كلسون رجّالي)، وعالم المستلزمات المكتبية (الأجندات)، وعالم الفن (مسرحيات)، وعالم التجميل (الشعر، الذقن)، وعالم المشاهير والمبدعين (مكيافلي).

(23) **مصر الثورة وشعارات شبابها، دراسة لسانية في عفوية التعبير**، هو عنوان الكتاب الذي أنجزناه بدعم من المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت في عام 2012، وسيصدر في منتصف عام 2014 عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

(24) قارن بكتاب دانيال تشاندلر **أسس السيميائية**، ترجمة طلال وهبة، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ط6، 2008، الثبت التعريفي، ص 435. والمصطلح استحدثه ليفي ستراوس.

والملاحظ أن الإيجاز في استخدام هذه الصيغة الآمرة (كلمة مفردة)، أو الإطناب (جمل خبرية وإنشائية تندرج فيها صيغة الأمر مع مختلف نظائرها وصيغها الفعلية)، أو الإضافة إليها (تفاصيل ومتمّمات)، ضاعف من تأثيرها لدى المتلقي الذي لم يفته بالطبع فكّ شيفرتها. لكنّه استساغ ورودها في سياقاتٍ غير سياسية، طريفةٍ ومأنوسة، وتمتّ إلى عالمه اليومي بصلةٍ وثيقة، واستمتعَ بترديدها – أو كتابتها أو رسمها – لإيصال رسالة مباشرة إلى «من يهمّه الأمر»، وللمشاركة الجَماعية في «واجب» التغيير على كافة صعده.

والمتلقون لهذه الرسالة السياسية لم يسمحوا بأن تذهب بهم اللغة – وهي هنا مأخوذةٌ في نموذجها المتناهي الصغر، والمتمثل بفعل الأمر «ارحل»– بعيداً على «سلم التجريد»[25]، أكثر مما يريدون. وفي الحقيقة لا يريد المتكلم العادي، ولا هو يدرك قدرتَه على تقليب المعاني، أو يعلم بوجود مستوياتِ تجريدٍ مناسبة. فاللسانيون هم الذين يقومون عادةً بهذه المهام بالنيابة عنه.

«انزلاق» عملية التخاطب الذي قام بين المواطن من جهة، والحاكم الذي لا يزال متمسّكاً بكرسيه وبامتيازاته ولا يبدي «حياةً لمن يناديه» من جهة ثانية، من مستوى إلى آخر، في لعبة التواصل المتمحورة حول فعل الأمر «ارحل»، لم يسهم في تجهيل النوع الذي تنتمي إليه «رسائل الترحيل» الموجّهة إلى مبارك ونظرائه.

مدلولات فكرة الرحيل

بعد تقديم صيغة الترحيل في ثنايا خطاب الاعتراض الساخر، نستعرض مختلف المدلولات المستخدَمة لإيجاز فكرة الترحيل. تعريف المدلول ومجالات استعماله وفهمه كانت موضع اهتمام كبار علماء اللغة. فأمبرتو إيكو يعرّف في كتابه **السيميائية وفلسفة اللغة** المدلولَ في مرحلة أولى على أنه كل ما من شأنه أن يميّز إرجاعاً ما إلى عالم ممكن[26]. ومن جهته، يقول فيتغنشتاين إن مدلول كلمة هو

(25) المصطلح مستخدم في الترجمة العربية لكتاب **أسس السيميائية**، ص 132.

(26) فكرة مدرجة في كتاب **السيميائية وفلسفة اللغة**، ص.134، ومنقولة عن فيتغنشتاين في كتابه **Philosophische Gramatik,** hrsg. 0Von rush Rhees (Oxford: B. Black Well, [1969], p. 49.

استعمالها في اللغة، وإن فهم كلمة يعني معرفة استعمالها والقدرة على تطبيقها[27]. إرجاع مفهوم الرحيل أو الترحيل في ذهن كلّ من المرسل والمتلقي الى عالم ممكن من عوالمهما، ومعرفتهما بالسياقات الممكنة لاستخدامه، هو في الحقيقة موازٍ لعمليات الفهم والاستيعاب والقدرة على التطبيق، وهذا ما ستظهره الصيغ العديدة المولَّدة من صيغة الترحيل الأساسية. وندرج استشهادين يكمّلان الفكرة المساقة هنا، أوردهما كتاب **أسس السيميائية**. الأول لـ ليفي ستراوس ويقول فيه إن «الفهم يعني تحويل... نمط من الواقع إلى نمط آخر»[28]. أما الثاني فهو لـ غريماس، ويعتبر فيه أن «الدلالة.. ليست إلا.. النقل من مستوى لغوي إلى آخر، مَن لغة إلى أخرى، وليس المعنى سوى إمكانية هذا «التحويل»[29].

وبكلمة، فقد حوّل الشباب العربي بامتياز دلالة فعل الأمر هذا إلى فعل سياسي تغييري، ونقلوا هذا النمط التعبيري من القاموس السلطوي إلى قاموس الأمر الواقع.

الاستنتاجات والملاحظات

بعد أن قمت بالتحليل أورد مجموعة من الاستنتاجات والملاحظات. إن التحليل اللساني حول صيغ «ارحل» الآمرة التي وردت مع مصدرها ومع مختلف صيغها الفعلية حوالي مئتي مرّة[30]، في مختلف الشعارات العربية المجموعة على مدى العامين المنصرمين أدّى إلى الاستنتاجات والملاحظات التالية:

أبوّة الشعار

ثمّة تنازع على أبوّة هذا التعبير السياسي الذي ذاع صيته خلال الانتفاضات غير المسبوقة في العالم العربي والتي لم تنتهِ فصولاً بعد، وغالباً ما تُسمّى «الربيع

(27) أمبرتو إيكو، **السيميائية وفلسفة اللغة**، ترجمة أحمد الصمعي، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ط2005/ 1، الثبت التعريفي، ص 462.

(28) **أسس السيميائية**، ص 134، وهو مأخوذ من كتابه **Tristes Tropiques**, translated by John Russel (New York: Criterion, 1961), p. 612.

(29) المرجع السابق، ص 134، وهو مأخوذ من كتابه **Du Sens ; essais sémiotiques**, (Paris: Edition du Seuil, [1970–1983]), p. 13.

(30) مئة ومرّتان في مصر، وثمانٍ وعشرين في اليمن، وستّ في كل من ليبيا وتونس، وأربع مرّات في البحرين، فيكون المجموع مئة وأربع وتسعين مرّة.

العربـي»[31]. فقد اعتبر الكاتب الكويتي (طارق المطيري) أن الفضل في إطلاقه يعود إلى الشـباب الكويتـي الذي نظّم في 27 تشـرين الأول 2009 حملة بعنوان «ارحل»، هدفها إسقاط رئيس الوزراء ناصر الحمد[32]. واعتبر أن الإنجاز السياسي الذي تمثّل باسـتقالة رئيـس الوزراء لم يكـن على مسـتوى الكويت فقط، بل على مسـتوى كل الأنظمة الوراثية العربية، وكانت تلك الخطوة الأولى[33] في أدبيات السياسة العربية.

بين الأشكال اللغوية والصور المجازية

صيغـة الأمـر «ارحل» وردت في أكثر من بلد منتفـض. ووردت أيضاً في جمل مفيـدة، عاميّـة بأغلبهـا. وحلّـت الفصحى فـي مرتبة ثانيـة[34]، والإنكليزيـة في مرتبة ثالثـة[35]، والفرنسـية[36] في المرتبة الأخيرة[37]. حضرت اللغـة الإنكليزية لدى الكلام عن الرؤساء علي عبد الله صالح[38]، والقذافي[39]، والأسد[40].

صيغ الأمر المنادية برحيل الرؤسـاء تميّزت أسـاليبها وفق منشـئيها. ففي مصر غلب الطابع الفكاهي والساخر الذي رفع الكلفة أحياناً (يا عمّ، طير إنت، يا حسني كـخّ، حـسّ على دمّك..)، والذي اسـتحضر أفـراد العائلة والنـوادي الرياضية وأبناء المناطـق والجيش (طنطاوي وسـليمان). وفي تونس طاول طلـب الرحيل بن علي، وحزبه وأعضائه، وبرلمانه، وحكومته، (حكومة بوكيمونية) ووزراءه، وجفري فيلتمان وحكيم قروي والسـفير الفرنسـي Boris Boillon الذي ردّد المتظاهرون طلب رحيله

(31) توصيف ورد في محاضرة للوزير السابق غسان سلامة، منشور في صحيفة **النهار**، 2012/ 10/ 14.

(32) صحيفة **الكويتية**، 2012/ 8/ 27.

(33) الخبر ذكرته صحيفة فرنسية: Le Courrier International, 27/9/2012.

(34) 32 في مصر، 20 في سورية، 6 في اليمن،2 في ليبيا، و1 في تونس.

(35) 8 في مصر، 6 في سورية، 6 في اليمن، 2 في ليبيا.

(36) لحقت هذه الصيغة بالرئيس المصري محمد مرسـي مرّة واحدة بالفرنسـية Dégage، في كاريكاتور لـ Plantin منشور في مجلة، **L'Expres**s, N 3206, 12.12.2012.

(37) 1 في مصر، 3 في سورية منها واحدة، في مظاهرة سورية في بروكسل، 32 في تونس منهما اثنتان مشتركتان بين الفرنسية والإنكليزية.

(38) مرّة واحدة بالإنكليزية.

(39) مرّتان بالعربية ومرّتان بالإنكليزية.

(40) الأسد مرّة واحدة بالإنكليزية في لافتة مرفوعة في اليمن.

بالفرنسية Dégage تحت نوافذ السفارة[41].

التوصيفات والصور المجازية المسبغة على الرؤساء، المطالبين بالرحيل، اتسم بعضها بالطرافة والسخرية (بارد، البيه، غبي، ابن الورمة، تِنِح، بَجَم[42]، حمار، كلب، البقرة الضاحكة، خنزير)، وبعضها الآخر بالإدانة والتنديد (قاتل، قاتل الأطفال tueur des enfants، جبان، فرعون، بغيض، طاغي، ظالم، ديكتاتور، جنرال الدمّ، بِجِم، هولاكو، سفّاح، السفاح).

نظائر صيغة الأمر «ارحل» تعدّدت في مصر (غور[43]، غوور، اطلع برّه، امشي، انزل، طير، انجز، فكّك منّا، اخلع)؛ وفي اليمن (تراجع، برّع[44]، تنحّ، حِلّ)، وفي ليبيا (حِلّ، يطلع برّه[45]، اطلع برّا)، وفي تونس (ارحل، ارحلوا، استقيلوا، على برّا أو برّه). وقد لفتنا أن فعل «حِلّ/ حِلّ عنّا» لم يرد في الشعارات المصرية كبديل أو نظير لفعل «ارحل»[46].

الشعارات المضادة المطالبة ببقاء الرئيس لحظت في سورية (لن يرحل)، وفي اليمن (لن يرحل، لا ولن يرحل)؛ والجمل الثلاث كتبت بالفصحى (لغة السلطة على ما يبدو). وفي مقابل الصيغ الآمرة بالرحيل، ثمّة صيغة أدرجت في شعار رفعته إحدى مناصرات الرئيس مبارك وتطالبه بالعودة أو الرجوع «ارجع يا مبارك»[47].

(41) **Le Monde**, 28/8/2012.

(42) يذكر عبد المنعم عبد العال في كتابه **معجم الألفاظ العاميّة المصرية ذات الأصول العربية**، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1971، ص.30، أن بَجَم بمعنى قليل الفهم والإدراك، عَيِيٌّ لا يستطيع الكلام.

(43) استخدم المتظاهرون المصريون هذا الفعل لدعوة القذافي للرحيل «يا قذافي غور غور (ارحل)....خلّي ليبيا تشوف النور». انظر مقالة أحمد رحيم، بعنوان «في ميدان التحرير: مصر ليبيا يد واحدة». صحيفة **الحياة**، 26/ 2/ 2011.

(44) مفردة برّع تستخدم للحثّ على الرحيل. وسبق أن وردت في هتاف شعبي رفع في عدن في الستينيات وجاء فيه: «ساعة التحرير دقّت... برّع برّع يا استعمار».

(45) ورد شعار «ليبيا.. حرّه... حرّه... والقذافي يطلع برّه» في رسم كاريكاتوري يمثل خريطة ليبيا وهي ترفس برجلها الافتراضية القذافي. الرسم رفعه متظاهر في مدينة طبرق (ا ب) واندرج في خبر منشور في صحيفة **الحياة**، 24/ 2/ 2011.

(46) صيغة النفي المؤكّد هذه وردت أيضاً على لسان وزير الخارجية الفرنسية لوران فابيوس الذي نقل عن نظيره الروسي لافروف، «الأسد لن يرحل أبداً». وقد أدرجت هذه الجملة عنواناً في صحيفة **النهار**، 15/ 10/ 2012.

(47) صورة لوكالة رويترز تتضمّن هذا الشعار، مع تعليق للصحيفة، «مؤيدو مبارك يطالبون بعودته إلى السلطة» منشورة في صحيفة **الجمهورية**، 5/ 1/ 2012.

والصيغة تفهم هنا بمعنى المناشدة والتمنّي أكثر منها بمعنى الأمر.

ارتبطت فكرة المطالبة برحيل الرئيس بضرورة العودة إلى الدراسة في كل من مصر وسورية. في الأولى (مصر) صيغ الشعاران بالعاميّة وبأسلوب شَرْطي فكاهي: (امشي [إلى المدرسة] هوّ يمشي)، (انجزْ عندنا ثانوية عامة). وثمّة شعار واحد، نسوي هذه المرّة، جاء بصيغة استفهامية ساخرة: «يا سوزان قولي للبيه مش حيرحل ولا إيه»[48].

تردّدت صيغة الأمر «ارحل»، بمختلف ضمائرها الفردية منها والجَماعية[49]. وورد الفعل نفسه بصيغة المضارع المنصوب بـ«لن»، أو المسبوق بأداة نهي «لا»، أو بسين التسويف «سترحل»، أو بالهاء التي تقابل الحاء في العاميّة المصرية «هترحل»[50]. ووردت الصيغة المصدرية بمعدّل تسع مرّات في مصر: «رحيلك»، رحيل، رحلك، والرحيل.

صيغة الأمر المنادية برحيل الرؤساء دُرست هنا بشكلها المدوّن المرفوع في اللافتات. ويبقى أن نشير إلى أن الجمهور تداولها بالطبع بشكلها الشفهي في التظاهرات حينما ردّد هتافي «ارحل» و«انزل» مع إيقاع قضى بلفظها بمقطعين: «ارْحَلْ»، اِنْزِل).

رفع المصريون في وجه مبارك شعاراً تهكّمياً يعني بالهيروغليفي «ارحل»، وآخر بالعبرية « بالعبري يمكن مبتفهمش عربي»[51] في حال لم يفهم المغزى بالعربية، لغته الأمّ. وبغية التأكد من وصول الرسالة إلى متلقيها، رفع التونسيون يافطة دوّنت عليها مرادفات لفعل «ارحل» بلغات عديدة مثل: الفرنسية، الإسبانية، الروسية، الصينية، وصولاً إلى العاميّة التونسية[52].

(48) عنوان لخبر عن تظاهرة مطالبة برحيل مبارك، صحيفة **الشرق**، 2011/ 2/ 1.

(49) بمعدّل 72 مرّة في مصر، 38 مرّة في سورية، 25 مرّة في اليمن، وأربع مرّات في ليبيا، ومرّتين بصيغة الجمع، بالعربية وبالفرنسية في تونس، ومرّة واحدة في كل من سوريا واليمن، ومرّة في البحرين.

(50) نشرنا مقالة في صحيفة **الحياة** (2011/ 3/ 26)، بعنوان، «شواهد تحوّلات الأصوات في «ثورة الغضب» المصرية»، تناول شيوع هذه الظاهرة في الخطاب الشعاراتي المصري، المدوّن بالعامية.

(51) **Tahrir Square**, p. 91.

(52) انظر كتاب **Dégage, La Révolution Tunisienne,** (Livre témoignages), Alif, Editions du Layeur, France info, 2011, p. 79.

بغيـة إيصـال الرسـالة القاضية برحيل الرؤسـاء، عمـد المتظاهرون إلـى إدراج شـروحات وتفسـيرات للمعانـي المفترضة لفعل «ارحـل»، إن بالعربيـة الفصحى أو العاميّـة، أو عن طريق إيراد مقابلات إنكليزية وفرنسـية، وذلـك لمزيد من التأكّد من وصول فحوى الرسـالة بأسرع وقت ممكن إلى المتلقي الوحيد، وهو هنا «الرئيس». كمـا تضمّـن شـعار تونسـي كُتـب بالإنكليزيـة «out»، صيغـة تأكيدية بالعربيـة «بكل حزم»[53].

تشـاركت الشعوب في دعوة رؤسائها المباشـرين للرحيل مشيرةً في الآن نفسه إلـى ضرورة الاقتداء بآخرين سـبقوهم، أو معتبرةً أنهم يسـتحقون أن يلاقوا المصير نفسـه لزملاء لهم. وهكذا ذُكِر كل من الرئيسـين صالح والأسد في اليمن، وبن علي والقذافي في تونس، والقذافي والأسد في سورية.

متلقّو صيغة الرحيل

ذُكِرَ اسم الرئيس المعني بالرحيل في مصر صراحةً[54]، وذكر أيضاً لقب المشير طنطاوي[55]، واسـم العائلة للفريق سامي عنان رئيس الأركان ونائب رئيس المجلس العسـكري ولنائب الرئيس عمر سليمان[56]، والسفير الإسرائيلي[57]، وفي شهر تشرين الثاني/ نوفمبر 2012، ذكر اسـم مرسي في هتاف: حرية حرية... مرسي ارحل[58]، يا مرسي ارحل[59].

وفي تونس، ذكر بن علي[60]، ورئيس وزرائه محمد الغنّوشـي[61]، ووزير التربية

(53) **Dégage,** p. 126.

(54) اثنتا عشرة مرّة بالعربية منها واحدة ذكر فيها اسمه الأول، وثلاث مرّات بالأجنبية على شكل منادى.

(55) مرّة بالعربية ومرّة بالإنكليزية.

(56) **غرافيتي الثورة المصرية**، مرجع سابق، ص24 .

(57) مرّتان بالعربية.

(58) الهتاف ردّده شـباب الألتراس، وأدرجته الصحيفة في تقريرها المعنون: «الحركة التصحيحية» لمرسـي تكرّسـه «فرعوناً» وتعمّق الاستقطاب السياسي، صحيفة **النهار**، 2012/ 11/ 24.

(59) كتبـت العبارة بالطبشـور على أرض الميـدان بتاريخ 2012/ 11/ 23. وأمام قصر الاتحاديـة الغلبة لـ «النيّوت»، تقرير لـ محمود حسين، بعنوان، «ميدان التحرير يجمع فرقاء الأمس»، صحيفة **الشرق الأوسط**، 2012/ 11/ 24 (الصورَة منقولة عن رويترز).

(60) ثماني مرّات بالفرنسية وأربع بالعربية.

(61) ثلاث مرّات بالعربية ومرّة بالفرنسية.

فـي حكومة الجبالي التي شـكّلت بعد إطاحة بن علي الطيّـب البكّوش[62]، كما ذكر كل مـن السـفير الفرنسـي بوريـس بوييـون[63] وحكيم قـروي[64]، والسـفير الأميركي جفري فيلتمان[65]، والقذافي[66].

صيغـة فعـل الأمر العامية «غوور» يعود اسـتخدامها الأول للناشـط محمد نعيم فـي 27/ 2/ 2011[67]. وهي لم تُسـتخدم فقـط للتوجّه إلى مبـارك. فقد وردت ضمن تعليق على رسـم كاريكاتـوري بخصوص اعتصـام المتظاهرين المصرييـن أمام مقرّ السـفارة الإسـرائيلية بالقاهرة على خلفية قتل القوات الإسـرائيلية خمسـة من رجال الأمن المصريين[68]. كما استخدمت بصيغة الجمع لدى التوجّه إلى العسكر في مصر والطلب إليهم العودة إلى ثكناتهم: غوروا. واستخدمت أيضاً في معرض الكلام عن مبارك وبن علي: غوروا انتو الاتنين.

«ارحل» ونظائرها تدخل عوالم الإبداع الفني والتصويري

«ارحـل».. باتت لازمـة أغاني الثورات العربية ومدار قصائدها وموسـيقاها كما جـاء فـي مقالة الناقـد الموسـيقي اندي مورغـن[69]. فقد نظم الشـاعر عبـد الرحمن يوسـف قصيدة بعنوان «ارحل»، كما نظم رامي عصام (طالب هندسي مصري) أغنية «ارحل» مستوحياً شعاراً رائجاً في ساحة التظاهرات بمصر على وقع موسيقى الغيتار والكلمات المرتجلة من غير حذف. كما ألّف علاء نصر قصيدة بعنوان «ارحل بقى»

(62) مرّة بالعربية.

(63) هو كاتب خطابات رئيس الوزراء الفرنسي السابق بيار رافاران.

(64) مرّة بالفرنسية.

(65) مرّة بالإنكليزية وأخرى بالفرنسية. انظر: **Dégage**, p. 127.

(66) مرّة بالعربية.

(67) معلومة أمدّنا بها الناشط أحمد ماهر (مجلة توك توك) في بيروت بتاريخ 2012/ 10/ 7.

(68) صـورة وزّعتهـا وكالة (أ ف ب) وتضمّنت رسـماً كاريكاتورياً يمثل قدماً (ترمز إلى ثوار 25 يناير) تطرد السـفير الإسـرائيلي (يرمـز إليه بالنجمة السواسـية) وهو يصرخ «الحقني يا طنطاوي»، ولسـان حال الثـوّار «غوورر بلا رجعة، برّه يا مجرم يا صهيوني، إذا الثوّار أرادوا طرد السـفير... فلا بد أن يسـتجيب المشير..». صحيفة **الشرق الأوسط**، 2011/ 8/ 28.

(69) انظر مقالة اندي مورغن، «ارحل»... لازمة أغاني الثورات العربية ومدار قصائدها وموسيقاها»، صحيفة **الحياة**، 2011/ 6/ 15 (نقلاً عن ذي اوبزرفر البريطانية 2011/ 2/ 28).

وأدّاها مواطن أطلق على نفسه اسم «مصري طالع عينيه»[70]. ويُظهر موقع «يوتيوب» مشهداً تُنشدُ خلاله الأغنية في ميدان التحرير مساء 5/ 2/ 2011.

من طرائف الثورة إطلاق أفلام ساخرة تتضمّن مقاطع مصوّرة منها واحدة تحت تسمية «الفيلم الذي أجبر مبارك على الرحيل». كما عمد بعضهم إلى خبز رغيف عيش وعليه شعار «ارحل» بحروف نافرة وحملوه خلال تظاهرة احتجاج. وثمّة رسم كاريكاتوري يمثّل كوكب الشرق وهي تنشد بتصرّف قصيدة الأطلال للشاعر إبراهيم ناجي التي أمست «واثقُ الخطوة يمشي ملكاً **خالعٌ حسين** شجيّ الكبرياء»[71].

منشؤو ورافعو صيغ الرحيل

تفنّن المصريون في ابتداع صيغ «ارحل» مضموناً وشكلاً. كما تعدّد مرسلو هذه الرسائل إلى مبارك المعني بالرحيل: فأهالي مختلف المحافظات طالبوه بالرحيل (الصعايدة، البورسعيدي، سيناوي، أسيوط، دهشور، أبناء شمال سيناء)، وأصحاب المهن الحرّة (نقابة أطباء مصر) والمؤسّسات العامة (الهيئة والقناة) والزوجات القلقات (الوليّة)، وصولاً إلى المخلوقات التي لم تبصر النور بعد (الأجنّة)، والمواطنين العاديين...

يبدو أن مفاعيل هذه الصيغة تعدّت سياقها الأصلي، فقد ذكرت صحيفة المغرب التونسية أن حذاء وزير الشؤون الدينية في الحكومة التونسية المؤقتة نور الدين الخادمي سرق أثناء زيارته لجامع «الغزالة» بضواحي تونس العاصمة. وأشارت الصحيفة إلى أن السرقة «تمّت بعدما تعرّض الوزير للإهانة والطرد من قبل مجموعة قيل بأنها تنتمي إلى التيار السلفي «لم تكتف بترديد عبارة «ارحل» التي باتت شهيرة في تونس، وإنما عمدت أيضاً إلى منعه من إلقاء درس ديني في الجامع». ولفتت إلى أنه «لولا تعاطف البعض وتطوّعهم لشراء حذاء جديد للوزير لوجد نفسه مضطراً لمغادرة الشارع حافي القدمين»[72].

(70) صحيفة **السفير**، 2012/ 7/ 25.

(71) رسم كاريكاتوري بتوقيع «أمل»، منشور تحت عنوان «في حبّ الشعب» في صحيفة **السفير**، 2012/ 1/ 25.

(72) صحيفة **المغرب التونسية**، 11 حزيران 2012، وعنوان الخبر «سرقة حذاء وزير الشؤون الدينية من داخل الجامع».

الشعار بين الأشكال المعتمدة لكتابته والحاملات له

كتابة هذا الشعار لم تقتصر على الحبر والألوان، بل تعدّتها إلى وسائل غير تقليدية مثل الحشيش الأخضر الذي زُرع متّخذاً شكل كلمة «ارحل»، وإلى شعر الذقن حيث حلق شاب ذقنه وترك شعيرات على شكل كلمة «ارحل»، وإلى رغيف العيش أو الخبز الذي خُبِزَت بأحرفٍ نافرة فوقه كلمة «ارحل»، وإلى المركبات والصهاريج...، وأخيراً إلى طلاب كلية الصيدلة بزيّهم الأبيض، في حلب، الذين رسموا بأجسادهم تعبير Go out[73].

من ضمن حاملات الشعارات في ميدان التحرير، استعار بعض المتظاهرين رمز الحذاء العراقي وحوّله إلى لافتة وألصق عليه شعار ينادي بوجوب الرحيل[74].

التداعيات العربية والدولية لهذا الشعار

عرب وعالم

صيغة الأمر بالرحيل «ارحل» باتت مادة تعليق للكاريكاتور السياسي في العالم. فقد استعيدت في كاريكاتور نشرته صحيفة «كوريه انترناسيونال» Courrier international الفرنسية 27 أيلول 2012، حيث تكرّرت كلمة «ارحل» سبع مرّات فوق خارطة أوروبا في إشارة إلى طرد أوروبا الدبلوماسيين السوريين[75]. كما نشرت الصحيفة **تحقيقاً عن الأغنية الثورية للثوار السوريين**: «يللا ارحل يا بشار Dégage, Allez Bachar».

للرياضة دورها في مجال استحضار صيغة «ارحل». فقد نادت جماهير نادي الاتحاد السكندري برحيل عفّت السادات، رئيس نادي «الجرين ماجيك»، وذلك لدى رفعها لافتة دوّن عليها شعار «ارحل»، وذلك في معرض انتقاده ودعوته إلى الرحيل. كما وجّهت النصيحة نفسها للمهاجم الدولي نايف هزّامي على «تويتر»،

(73) الأمثلة الأربعة أدرجت على الشبكة العنكبوتية بتاريخ 2012/ 9/ 19.

(74) انظر مقالة الفنان التشكيلي عادل قديح، بعنوان «الثورة تصنع فنّها أيضاً.. في ميدان التحرير»، صحيفة **السفير**، 2011/ 2/ 12.

(75) كاريكاتور سياسي حول قطع العلاقات مع النظام السوري منشور في صحيفة **المستقبل**، 2012/ 9/ 29 (نقلاً عن صحيفة **كوريه انترناسيونال**).

الاتحاد لهزّامي: «لسلامتك ارحل»[76].

في لبنان، عدّل مواطنون محتجّون في منطقة الجية الساحلية مضمون هذا الشعار بحيث بات «ارحل يا وزير التعتيم»، والمقصود بذلك وزير الطاقة والمياه جبران باسيل[77]. وفي رام الله تظاهر عمال فلسطينيون ضد سوء الأوضاع الاقتصادية وطالبوا برحيل الوزير» ارحل ارحل يا وزير... قرارك دمّرنا تدمير[78].

على شاكلة الشعارات التي ردّدها الثوار في بلدان الربيع العربي، اختارت **صحيفة "النهار الجديد» الجزائرية** جملة «ساركوزي ارحل» عنواناً لها، وذلك للتعبير عن فرح الشارع الجزائري واحتفاله بخروج ساركوزي من الاليزيه. واعتبرت صحيفة الحياة (2012/5/14) أن هذا العنوان كان الأكثر إثارة.

فكاهة المتظاهرين المصريين في ثورة 25 يناير لاحقت «احتجاجات لندن»[79]. فقد برزت تعليقات ساخرة عبر موقع «تويتر» الذي تسابق أعضاؤه لإطلاق العنان لخيالهم على مواقع التواصل الاجتماعي والمنتديات الإلكترونية، فكتبوا مئات «التويتات» للتعليق على احتجاجات لندن، ومنها واحد تضمّن تعابير عربية وأخرى معرّبة: ارحل يعني غو، بتفهم ولا نو.. مش هنلييف هوّا يلييف (يمشي).

في 28 تشرين الأول 2012، **وخلال تشييع اللواء الشهيد وسام الحسن في بيروت،** أطلق المشيعون المتجمّعون أمام السراي الحكومي هتافات تطالب رئيس الحكومة نجيب ميقاتي بالاستقالة: ارحل ارحل يا نجيب، و[80]Mikati Dégage.

وفي عمّان، ردّد آلاف الأردنيين المتظاهرين احتجاجاً على رفع أسعار المحروقات شعارات غير مسبوقة تطالب العاهل الأردني الملك عبد الله الثاني بالرحيل: "**لا إصلاح ولا تصليح... ارحل بالعربي الفصيح**»، و«**الحرية من الله**...

(76) قناة **الرياضية السعودية**، 2012/11/25.

(77) تحقيق عن تظاهرات شعبية في منطقة الشوف مطالبة بإعادة التيار الكهربائي، صحيفة **النهار**، 2012/1/23.

(78) خبر بعنوان «تحرّك شعبي في الضفة الغربية للمطالبة بتحسين الأوضاع المعيشية»، صحيفة **اللواء**، 2012/10/10 (نقلاً عن ا.ف.ب).

(79) انظر تحقيق محمد عجم، بعنوان، «فكاهة المصريين في ثورة 25 يناير تلاحق «احتجاجات لندن»،» صحيفة **الشرق الأوسط**، 2011/3/30.

(80) أنظر خبر تشييع اللواء الشهيد وسام الحسن في الصحف اللبنانية، 2012/10/22.

يسقط يسقط عبد الله»[81].

عدوى المطالبة بالترحيل انتقلت أيضاً إلى **المغرب** حيث تظاهر العشرات من حملة الشهادات العاطلين عن العمل، في أحد شوارع العاصمة الرباط، وأقدموا على محاصرة سيارة رئيس الحكومة عبد الإله بن كيرلن، وهم يرفعون لافتات كتب عليها شعار «إرحل» بينما ردّد آخرون هتاف «ارحل.. ارحل»[82].

الخاتمة

إن السياقين اللغوي والثقافي لاستخدامات صيغ «ارحل» ونظائرها العاميّة – في اللغة الأمّ – أو مقابلاتها الأجنبية – بالفرنسية والإنكليزية – يُظهران أن منشئ فعل القول هذا، وظروف إنشائه، وهويات مستقبليه أو المقصودين بصيغة الرحيل، اختلفوا وتنوّعوا وفق مراحل تطور عملية إطلاق الرسائل القاضية برحيل الزعماء – وأعوانهم – ناهيك بارتباطها بالمحطات السياسية الساخنة أو الاستحقاقات التي ميّزت بيئةً عربية منتفضة في المشرق عن مثيلتها أو مثيلاتها في المغرب. وعلى سبيل المثال لا الحصر، فالمقصود الأول بالرحيل في مصر، خلال عام 2011، هو حسني مبارك. ولكن صيغة الرحيل تمدّدت مفاعيلها في عام 2012 لتطال المجلس العسكري الذي طالبه المتظاهرون بتسليم السلطة إلى المدنيين «غوروا إلى ثكناتكم»[83]. ولم يسلم الرئيس مرسي من مفاعيل الترحيل، فقد طالبه المتظاهرون بالرحيل، ودوّنوا شعارات ورفعوا هتافات بهذا الشأن» حرية حرية... مرسي ارحل»[84]، فعلق بالقول: «جلدنا تخين... ولن ارحل»[85]، وردّ على سؤال

(81) تحقيق من إعداد وكالات الأنباء في عمّان بخصوص التحركات الاجتماعية الشعبية على تردّي الأوضاع المعيشية، صحيفة **اللواء**، 2012/ 10/ 17. (نقلاً عن ا.ف.ب، **الحرّة**، **رويترز**، **BBC**).

(82) خبر بعنوان، «المغرب: عاطلون عم العمل يحاصرون بن كيران ويهتفون «ارحل»،» صحيفة **الشرق**، 2013/ 10/ 25.

(83) صورة نقلتها وكالة رويترز من القاهرة لمتظاهرة ترفع هذا الشعار بتاريخ 2012/ 2/ 21. صحيفة **السفير**، 2012/ 2/ 22.

(84) وكالات الأنباء (و.ص.ف.، رويترز، أ.ش.أ، أ.ب)، تحقيق بعنوان «الحركة التصحيحية « لمرسي تكرّمه «فرعوناً» وتعمّق الاستقطاب السياسي، صحيفة **النهار**، 2012/ 11/ 24.

(85) محمد فوزي، كواليس الحوار التلفزيوني بعد حذف ساعة كاملة، «مرسي: «جلدنا تخين»... ولن أرحلّ،» عنوان لتحليل منشور في صحيفة **السفير**، 2013/ 2/ 2.

حـول إمكانيـة رحيله في حـال حصول مظاهـرات، أجاب: الناس في الشـارع تقول ارحل «كرأي» وليس ارحل «كشريعة»[86]. ولكنه ما لبث أن «رحل» أو بالأحرى خُلِع بعد قيام ثورة 30 يونيو 2013.

إن القراءة اللسانية المقارنة للنتاج اللغوي الخصب والمتعدّد الأشكال والمتنوّع الصيغ التعبيرية أسـفرت عن مجموعة ملاحظات أو اسـتنتاجات أوّلية تمّ تبويبها في عـدة خانات تسـهيلاً لربطها بعضها مـع بعض. انطلاقاً من الملاحظـات العامة التي شـملت أكثر من بيئة عربية منتفضة أنتج ناشـطوها صيغتهـم الخاصة لفعل «ارحل»، عدنـا إلـى شـواهد متفرّقة تعـود لبيئـات ثانويـة – عربيـة وأجنبية – لحقتهـا عدوى المطالبة بالترحيل. وأخيراً، فإنّ الهندسـة الإنشائية للشعارات ظهرت جليّة في جملة «ارحل» كالتالي:

تحمل طاقة من المشاعر والرسائل والمواقف والآراء والدّعوات.

تتحمّل وَزْنـاً، كأنها ميزان. الميزان صغير حجماً، لكنه يحمل وزناً كبيراً. وكذا هذه الجمل؛ فهي تحمل أطناناً من الهموم والشحون والآمال والأحلام.

مِطْواعة، وذلك بسـبب هندستها الإنشائية التي لا ترتبط بنصّ كامل، وإنما هي شكّلت مرسلة أو رسالة؛ وهذا ما يجعلها مَرِنة.

قـادرة على المقاومة العالية؛ فهي كضوء الليـزر، وضوء الليزر؛ وضوء مكثّف، يستطيع ان يفتح باباً عن بعد. والشعارات، وفي مقدّمتها «ارحل»، استطاعت عن بعد أن تهزّ عروشاً، وتفتح أقفالاً لسجون، وتفتح قلوباً فتحرّكها.

ذات كلفة بسيطة؛ إذ إن مكوّنها كلمة منسوجة نسجاً مُحكماً لا تتعدى الأحرف الأربعة «ارحل»، لكن أطولها لا يتعدّى الكلمات العشر.

(86) معلومة وردت في تحقيق عن «اللقاء الاعلامي لمرسي»، أعدّه مراسل صحيفة **السفير** في القاهرة، 2013/ 2/ 26.